المسرح والحركات الثقافية في الجزائر مع بداية القرن العشرين

ملخص:

ظهرت الحركات الثقافية في الجزائر مع مطلع القرن العشرين، وكان لظهور هذه الحركات وجهة جديدة لمواجهة الاستعمار الفرنسي بعد أن استطاع القضاء على الثورات المسلحة التي كانت طوال القرن التاسع عشر، ويأتي المسرح ضمن الوسائل الثقافية لتوعية الشعب ودفعه إلى المقاومة ومحاربة الاستعمار.

أ. صالح لمباركية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة باتنة.

ظهرت الحركات الفكرية والثقافية في المجتمع الجزائري متأخرة بالقياس إلـــى مرحلة المقاومة المسلحة التي انطلقت مباشرة بعد الاحتلال التي كانت ردة فعل من الشعب الجزائري ضد العدوان الفرنسي الغاشم طوال سبعين سنة من المقاومة الشعبية والانتفاضة العارمة في شتى أنحاء الوطن، ولعل أبرزها ثورة الأمير عبد القادر سنة (1832) وثورة المقراني سنة (1871) وثورة بوعمامة سنة (1881) وثورة أولاد سيدي الشيخ في غرب الوطن، وثورة لالة أنسومر وثورة أحمد باي في شرقه، وغيرها من الثورات التي قاومت الاستعمار الفرنسي بكل بطولة وعزم.

Résumé:

Les Mouvements culturels apparaissent en Algérie au début du vingtième siècle, et évidement l'apparence de ses mouvements a crée une nouvelle distinction pour résister contre le colonialisme Français qui a reussi à exterminer les guerres armées qui ont duré toute le dix neuvième siècle.

Le Théâtre fait partie de ces mouvements culturels qui ont poussé le peuple algérien à résister et combattre le colonialisme.

ولما لم يقدر لهذه الانتفاضات تحقيق أهدافها بالوسائل المسلحة اتجه بعض أبناء الجزائر خاصة أهل الفكر والثقافة إلى سلوك سبل أخرى لتحقيق أهدافهم فيمموا وجهتهم للعمل الثقافي الذي كان ظاهره سلميا وباطنه يعمل على تشكيل وتهيئة الظروف من أجل إيجاد القاعدة الحقيقية لبناء قوة تكون كفيلة لدحر العدو وتحرير

الوطن، على الرغم من أن طبيعة المجتمع الجزائري إبان الفترة التركية وحتى بداية الاحتلال الفرنسي كانت طبيعة شعب مسالم ومهادن، ميال إلى الحياة الهادئة التي تتسم بالرخاء والنعيم وحب الفنون والتفاني في العمل وعلى كسب العيش الكريم، فأصبحت حياتهم راغدة آمنة محفوفة بالغناء والرقص، وموائد الأكل ومجالس الطرب، ولنا في قصور المدن وبيوتها أصدق مثال على ذلك، إذ أنها تتربع على بهو فسيح مزركش بالرخام والفسيفساء تتوسطها نافورة ماء عذب رقراق، وتقام فيها مع كل مساء مجالس الإنس والطرب يحييها المنشدون والعازفون والمغنون والراقصات. وتتوالى سنون الاحتلال الفرنسي السوداء، فتحولت حياة الأفراد في المجتمع الجزائري من نعيم ورقة إلى شدة وغلظة وقسوة، فصارت حياتهم صعبة ومريرة، فاستجابوا لمقتضيات الحياة الجديدة لهذه المفروض عليهم، فتحول معظم السكان إلى بدو رحل فارين رافضين مقاومين ومتربصين بالعدو وغير آمنين ولا مستقرين.

وهكذا ظل الشعب الجزائري بعيدا عن خضم الحياة الفكرية والثقافية المتطورة المزدهرة في أوربا بدعوى أنها فكر وثقافة العدو الظالم الطاغي، وتؤكد كل الشواهد أن أفراد الشعب الجزائري لم يحتكوا بالفرنسيين (مدنيين وعسكريين) إلا مع بداية القرن العشرين بعد أن تحولت المعطيات السياسية مع العدو الفرنسي، حيث خفت شدة المقاومة المسلحة وبدأت سمات التلاقي والحوار والثقة تبدو في الأفق حيث يتمثل هذا التقارب الجديد للمقاومة في التقرب من أجهزة الاستعمار والتعامل معها عن قرب والاستفادة من كل ما يمكن أن يخدم البلاد ويرفع الظلم عن السكان ويضعف نشاط المعمرين الغزاة. ولعل أول ما حرص عليه أفراد الشعب الجزائري هو مطالبتهم بحقهم في التعليم والسماح للجزائريين بالتمدرس، علما بأن أعضاء من الحكومة الفرنسية نفسها قد دعوا إلى ذلك منذ سنة 1883 ونشر مبدأ الإلزام المدرسي للجزائريين ومحاولة تطبيق ذلك على الواقع الميداني، لأن تعليم الجزائريين ضرورة ملحة بالنسبة للحكم الاستعماري، لأنه يرى في التعليم وسيلة لاستعمار العقول والأذهان وغزو الأدمغة[1].

وهكذا اتضحت سياسة الاستعمار الفرنسي وطريقته في معاملته للجزائريين، «لقد تم الاحتلال الأول للجزائر بقوة السلاح وانتهى عام 1871 بنزع السلاح من القبائل، ويتضمن الاحتلال الثاني قبول إدارتنا وعدالتنا من قبل أهل البلد، أما الاحتلال الثالث فسيتم من خلال المدرسة»[2].

وعلى هذا النمط كان الحكام الفرنسيون يديرون شؤون البلاد، أما بعض أولئك الجزائريين الذين يؤيدون الفكرة فقد كانت بالنسبة لهم بداية لعملية جديدة للمقاومة، وهي مقاومة بالحوار[3]، مقاومة تبناها كثير من المثقفين الجزائريين بالثقافة الفرنسية والعربية أمثال أحمد بن يوسف وسي علاوى بن يحي وأحمد رحمات ومحمد بن رحال ، واعتبروا ذلك ضرورة أملتها المرحلة التاريخية ولصالح الوطن[4].

ناضل محمد بن رحال[5] بكل قوة ليصل إلى مراكز الحكم والنفوذ في الحكومة الفرنسية، وهو من أبرز الرجال الذين أراد الفرنسيون أن يجعلوا منه وسيطا بينهم وبين قومه ، فجمع بين الثقافتين مما أهله بأن يتقلد وظائف سامية في الدولة حيث شغل منصب القاضي سنة 1878، وعضوا في مجلس الأعيان سنة 1891، وعين في منصب الحاكم العام سنة 1903 وفي المجلس العام لوهران ثم انتخب مستشارا عاما لدائرة مستغانم سنة 1920 ومندوبا ماليا في الجمعيات المالية، ثم شغل منصب نائب الرئيس في مجلس وهران[6]، ولكنه مع ذلك لم يتنكر لأصوله وتراثه الوطني، ولكن فكرة التعليم التي سعى إليها النظام الاستعماري الفرنسي وعمل على تحقيقها بعض المثقفين الجزائريين، لم تلق نجاحا مشجعا لدى السكان الجزائريين خاصة داخل الوطن، وإن سجل بعض النجاح في المدن الكبيرة كالعاصمة ووهران وقسنطينة و لم تتعد نسبة المتمدرسين من الأهالي الجزائريين نسبة 2% من السكان سنة 1889[7] وهذا التعليم بالنسبة للأهالي «لم يطلبوه ، لأنه يعتبر تهديدا ضمنيا للقيم الثقافية التي ما زالوا يحملونها»[8]، وتمسكوا بمدارسهم القرآنية وبالزوايا كمراكز إشعاع للعلم والمعرفة. وبذلك انقسمت (الانتيليجانية) الجزائرية إلى ثلاث فرق، هي:

فرقة تنادي بالاندماج وتعمل جاهدة إلى الانضمام تحت جناح الاستعمار والتثقيف بالثقافة الأوربية، وفريق يحذر من عاقبة هذا المنحنى الخطير الذي - بلا شك - يسعى إلى سلخ الهوية عن الشعب الجزائري وإدراجه نحو الفرنسية والتفرنس، أما الفريق الثالث فهو معتدل ويدعو إلى العمل والاستفادة من الحضارة الأوربية والأخذ من المستعمر ما ينير العقل ويغذي الفكر، وهذا ما ذهب إليه كثير من رواد الفكر الجزائري أمثال محمد بن رحال الذي يقول: «إن الشيء الذي ألفه المسلم هو تلك المدارس القرآنية من حيث أنه تعود على أخذ هذه المعاني الأولية وتعليماتها كذلك، فمضاعفة المدارس الفرنسية أمر مقبول وجيد، لكن إهمال المدارس العربية أمر لا يغتفر

ومخالف لحسن التصرف السياسي»[9]، إلا أن الحكومة الفرنسية ترفض هذا الاعتدال وهذا الرأي، وتحكم على اللغة العربية ومدارسها وعلى الدين الإسلامي بالقضاء المبرم والزوال. وهي ترفض نهائيا تعليم اللغة العربية للأهالي، وهذا ما يتجلى في رأي أحد ساساتها (سايانيه) SIANIH حين يقول: «إن هذا المذهب مضاد بصورة مطلقة لكل تعاليم التاريخ، عندما تريد أمة أن تصل إلى تسريب حضارتها إلى أمة أقل تطورا، فإن ذلك يكون ينشر لغتها التي يجب أن ترتبط بها للحصول على هذه النتيجة»[10].

واحتدم الصراع بين النخبة المثقفة المعتدلة والداعية إلى التمسك والمحافظة على التراث العربي الإسلامي من جهة، وبين الاندماجيين والنظام الاستعماري من جهة ثانية، ثم إن النظام الفرنسي كان واعيا ومدركا ما لهذا الخلاف من فوائد لترسيخ أركان الاستعمار وتوطيده داخل البلاد والحكم على الأهالي بالفقر والجهل والإبادة.

وقد نتج من هذا الصراع تطرف كبير وتباين في الآراء، فبعد عدة سنوات من ظهور فكرة التعلم في المدرسة الفرنسية لم تبرز إلا نخبة من مثقفين جزائريين بهرتهم ثقافة المستعمر فراحوا يتنكرون لأصولهم الجزائرية فأمسوا «انتلجانسيا هشة نخبة صغيرة دون قاعدة اجتماعية مهمة، توشك أن تنقطع عن المجتمع الجزائري، وتندمج بشكل فردي في المجتمع الفرنسي»[11]. وانطلق كثير من العلماء والمفكرين الجزائريين مندفعين لحماية اللغة العربية والإسلام من التيارات الغربية وحملات الدعاية الفرنسية الساعية إلى تغريب العقل الجزائري وتحطيم أركانه، وقد عمد هؤلاء المفكرون إلى بعث التاريخ وإحيائه مع توضيح نوايا الاستعمار وإبراز أهدافه وأفكاره المسمومة التي لم يكن غرضها رفع الجهل عن الأهالي أو تزويدهم بالعلوم والمعارف ، بقدر ما كان الهدف هو نسف الهوية الوطنية وتمزيق أواصر الروابط بين الـــمجتمع لذلك «فإن حركات اليقظة والنهضة ذات الطابع الإسلامي كانت مقدمة عنيفة لحركات العمل الوطني والسياسي التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى»[12]. وهذا التصدي القوي في وجه الاندماج الكلي للأهالي دفع بعض المفكرين إلى التحذير واليقظة من العواقب الوخيمة على الوطن، وسلك المفكرون أنفسهم كل سبل المواجهة والوقوف في وجه العدو والذين يسيرون خلفه. فأنشأوا الجمعيات والنوادي الفكرية والفرق الفنية ذات الصبغة الثقافية والترفيهية، فقد ظهرت جمعيات[13] وأسست نواد فكرية[14]، وظهرت عناوين لصحف أسبوعية ويومية بالعربية والفرنسية[15]، وكان دور هذه المؤسسات

الثقافية والفكرية والأدبية يتمثل في نشر مظاهر الثقافة العربية بقراءة الأشعار وإلقاء المحاضرات والندوات الأدبية المتنوعة، مع الاهتمام بالجوانب السياسية وبث الروح الوطنية في الأهالي بإقامة المهرجانات الخطابية والحفلات بالمناسبات الدينية [16].

ولعل من أبرز الذين أرسوا دعامة الفن المسرحي في الجزائر وحاولوا إدراجه ضمن الوسائل التثقيفية في الأوساط الشـــعبية هو الأمير خالد[17] الذي نشأ في كنف الأسرة الجزائرية المسلمة والتي وقفت في مواجهة العدو الغاصب ابتداء من الشيخ (محي الدين) والد (الأمير عبد القادر)، وبحكم تواجد الأمير (خالد) بفرنسا للدراسة، فقد اطلع على أهمية المسرح في ايقاظ الأمة ، فطلب من الممثل المصري (جورج أبيض)[18] حين التقى به في باريس سنة 1910 أن يبعث له بعض المسرحيات لتمثيلها في الجزائر، وعند عودته إلى القاهرة أرسل عدة مسرحيات سنة 1911 منها مسرحية ماكبث لشكسبير تعريب محمد عفت المصري، ومسرحية المروءة والوفاء لخليل اليازجي، ومسرحية شهيد بيروت للشاعر حافظ ابراهيم[19]. وأسس الأمير خالد في السنة نفسها ثلاث جمعيات فنية، الأولى في العاصمة والثانية في البليدة والثالثة في المدية. وقامت هذه الجمعيات بتقديم عروض مسرحية ونشاطات طوال السنوات اللاحقة. فقد قدمت جمعية العاصمة مسرحية (ماكبث)، التي عرضت في قصر (قدور بن محي الدين الحلوي) بالعيون الزرقاء قرب الحامة وحضر الحفل نخبة من المثقفين الجزائريين، من بينهم (محمد بن شنب وعبد الحميد بن سمايا وقدور موراد التركي وابن ونيش والشيخ دحمين)[20].

أما جمعية البليدة فقد أسندت رئاستها إلى (محي الدين بن خدة) ومثلت نفس المسرحية مع نخبة من الوجهاء والأدباء، وكان الحفل بزاوية (أحمد لكبير)[21]. أما جمعية المدية فقدمت مسرحية (المروءة والوفاء) بمنزل القاضي (عبد المؤمن) حوز المدينة سنة 1912، وكان يشرف على نشاطها الوكيل الشعري اسكندراني محمد بن القاضي عبد المؤمن[22]، وهذا النشاط القوي والفعال التف حوله المثقفون بالدرجة الأولى من علماء ووجهاء وأدباء، وبقي نشاط هذه الجمعيات مستمرا لعدة سنوات حتى قيام الحرب العالمية الأولى، كما مثلت فرقة جمعية المدية مسرحية: (مقتل الحسين) من تأليف جماعي والتي أشرف على عرضها الأمير خالد نفسه مع وجهاء القوم (محمد بن شنب والمفتي حميدة فخار) وذلك بزاوية سيدي أحمد أبركان[23] ومثلت الجمعية نفسها مسرحية (يعقوب اليهودي)[24] وبعد الحرب العالمية الأولى

نشطت الحركة الثقافية في المدية إذ أسس فيها الأمير خالد جمعية الوحدة الجزائرية فقدمت مسرحيتين (في سبيل التاج) و(غفران الأمي)[25].

والملفت للنظر أن نشاط هذه الجمعيات كان سياسيا بالدرجة الأولى، نشاط تحمس له شباب جزائري واع لظروفه وأحواله، يريد أن يصل إلى تكوين جبهة قوية لمقاومة المستعمر والوقوف في وجهه، وإضاءة بصيص من نور يهتدي به الجزائريون نحو الحرية والمستقبل، دون الاحتماء بالثقافة الاستعمارية أو الغوص فيها، ومما سبق يمكن التوصل إلى نتائج أهمها:

1 - كان الاهتمام بالثقافة العربية عند الجزائريين اهتماما كبيرا.

2 - كان المثقفون في الجزائر خلال هذه الفترة، منشئين لفرق فنية وعاملين على ترقيتها بالإسهامات فكرية وثقافية وسياسية.

3 - إن النشاط الفكري والثقافي لم يقتصر على العاصمة فقط بل تعداها إلى مدن داخلية كالبليدة والمدية وقسنطينة وتلمسان وبسكرة.

وعلى الرغم من هذا الاحتكاك بالثقافة الفرنسية من قبل الجزائريين فإن ذلك لم يؤهلهم إلى مستوى المواطنة الفرنسية و لم تعط لهم أية امتيازات مدنية أو عسكرية، بل كثير من المشتغلين بالفنون والذين يحاولون التعبير عن قضاياهم الأساسية لاقوا من السلطات الفرنسية معاناة الملاحقة والحراسة والعقاب كالتشريد أو النفي أو الغرامات المالية[26]، حتى أن التعبير في أعمدة الصحف أو الخطب في المحافل أو اللقاءات أو العروض المسرحية القليلة التي كانت تقام في مدن الجزائر ،كانت تحت إشراف السلطة الاستعمارية وتتم بموافقتها وبرعاية صارمة، وكثيرا ما صودرت صحف في أعدادها الأولى[27]، وقد عمد الحكام الفرنسيون إلى نفي نشطاء الثقافة أو توقيفهم أو زجهم في السجون[28].

وكان من الضروري أمام هذه الضغوط في توجيه النخبة المثقفة في الجزائر أن يبحث هؤلاء عن إيجاد سبل للتعبير والمقاومة بقدر كبير حتى لا تجد الأجهزة الاستعمارية وسائل للقضاء على الهوية العربية الإسلامية في الجزائر، لذلك نشطت الجمعيات في أعمالها الثقافية والاجتماعية والسياسية وتعددت نشاطات النوادي كعقد اللقاءات الفكرية والثقافية والرياضية.

وما دام المسرح لا يخرج من هذا الإطار الثقافي العام، ومن خلال عرضنا لأهم هذه القضايا يمكن أن نقول إن هناك بداية للفن المسرحي قبل مجيء (جورج أبيض) للجزائر، هذه الزيارة التي يعدها الباحثون البداية الفعلية للمسرح في الجزائر، ذلك أن كثيرة هي الآراء التي تقول إن المسرح في الجزائر بدأ بمجيء فرقة جورج أبيض من مصر إلى الجزائر سنة 1921. ولكن كيف يمكن إغفال كل هذه الحركات الثقافية السابقة لهذا التاريخ، من نشاط الجمعيات والنوادي والفرق الفنية بشتى أنواعها، الموسيقية والمسرحية والحفلات واللقاءات والتجمعات في المناسبات والأعياد. ثم إن الأعمال المسرحية المقدمة في الجزائر خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من قبل الكتاب الفرنسيين، والكتاب الجزائريين والفرق المسرحية التي ظهرت، كانت كلها بلا شك لبنات في بناء صرح المسرح في الجزائر – وهي بلا منازع – عبرت عن مرحلة من مراحل المجتمع الجزائري، ثم إن الحركة الثقافية في الجزائر قبل الحرب العالمية الأولى نشطت نشاطا ملفتا للنظر، والذي تمثل في الإصدارات العديدة لعناوين الجرائد اليومية والأسبوعية والمجلات، وكذلك بزوغ العديد من الجمعيات الخيرية والأدبية والثقافية، وكذا النوادي المختلفة الرياضية والكشفية. وعلى كل فإن الاتصال بالشرق أو زيارة المشارقة للجزائر أمر كان له أهميته وأثره البالغ في بعث الأمل للأهالي والسكان الجزائريين.

فالاتصال بالشرق كان منذ زمن بعيد وهو بالدرجة الأولى برز أساسا في زيارة الأماكن المقدسة، ثم اتخذ بعد ذلك – وفي القرون المتتالية – صبغة التعليم والتثقيف وخاصة في القرن التاسع عشر، ثم إن الاحتماء بالشرق لدى الجزائريين جاء بعد الاحتلال الفرنسي. فكان الرحيل إلى المشرق جماعات وأفواجاً وعائلات بأكملها هروبا من بطش الاستعمار أو نفيا قهريا، كما حدث لعائلة الأمير عبد القادر التي هجرت إلى الشام. وهكذا تم التواصل بين الجزائر والشرق العربي. وقد عمد عدد كبير من علماء العرب والمسلمين وأدبائهم زيارة الجزائر لنشر العلم والاطلاع على أحوال إخوانهم الجزائريين، والوقوف معهم ومساعدتهم في محنتهم، فمن مصر جاءت إلى الجزائر مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين شخصيات عديدة هامة أمثال الشيخ (محمد عبده) و(محمد فريد) و(جورج أبيض) و(أحمد شوقي) و(فاطمة رشدي) و(ويوسف وهبي) . بالإضافة إلى عدد من العلماء والوجهاء الذين حضروا مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع عشر سنة 1905 بالجزائر كالشيخ (عبد العزيز جاوش) المصري، الذي أبدى رأيه في معاملة الفرنسيين

للسكان الجزائريين، وكان رأيا صريحا أسخط الفرنسيين[29]. وقد شارك في هذا المؤتمر عدد كبير من علماء الجزائر كـ (محمد بن أبي شنب) والشيخ (عبد الحليم بن سمايا) وغيرهما[30].

وكان لعودة الجزائريين إلى بلادهم من المشرق فرادى وجماعات دورا هاما في إيقاظ الوعي الفكري والثقافي والديني والسياسي للأهالي كما حدث مع عائلتي (ابن عزوز الرحمانية) وعائلة (عبد العزيز العالمي) اللتان عادتا من تونس[31]، وكذلك عودة الطلبة الذين أنهوا دراساتهم في المشرق والمغرب سواء في جامعة الزيتونه بتونس أو القرويين بالمغرب أو الأزهر بمصر، كالأستاذ (عبد القادر المجاري) الذي تخرج من جامع القرويين والأستاذ (محمد الزقاي) من جامعة الأزهر.

وهكذا فإن الحركة الثقافية والفكرية في الجزائر مع بداية القرن العشرين بدأت تنشط إلى درجة أن كثيرا من العاملين فيها حاولوا بجهود جبارة نقل كل ألوان التمدن والتحضر من الشرق والغرب إلى الجزائر، كما فعل ابناء (موراد بن التركي) الذين أنشأوا المكتبة الثعالبية بالجزائر العاصمة سنة 1896[32]، وكان أصحاب هذه المكتبة يمرون على الاستانة وبيروت ومصر لاستيراد أمهات كتب التفاسير القرآنية ومجامع الحديث وكتب الفقه والآداب والتاريخ.

وبتكاتف هذه العوامل الفكرية والأدبية والسياسية والتي ساهمت في دفع حركة النهضة في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى إذ لا يمكن نكران «أن الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918 قد عرفت على غرار الشعوب التي كانت واقعة تحت السيطرة الأجنبية نوعا من الانعتاق لا سيما بين فئات الشباب الذين كانوا يتمركزون في العاصمة»[33]. ويتمثل هذا التوجه نحو إنشاء فرق فنية ورياضية والاهتمام بكل الأنشطة الشعبية السياسية منها والفكرية والثقافية والاجتماعية. ففي سنة 1919 تأسست (ودادية الطلبة المسلمين بالجزائر) التي أصبحت فيما بعد (ودادية الطلبة المسلمين في شمال إفرقيا)، وفي نفس الفترة – ونظرا لقلة المدارس العمومية – اجتمع الجزائريون وأسسوا مدارس حرة من أجل تعليم أبنائهم بلغتهم الوطنية، مثل (مدرسة الشبيبة)، كما أسست جماعة من الأعيان والتجار في الفترة نفسها ناديا أطلق عليه اسم (نادي الترقي) بغرض إقامة المهرجانات وإلقاء المحاضرات الأدبية والدينية، وتأسست أيضا جمعيتان رياضيتان هما (الطليعة) و(المولودية) وهما جمعيتان رياضيتان[34]. ويقر علالو في مذكراته أن المسرح الجزائري ظهر في هذه الفترة وفي «ظروف متقلبة من عمر النهضة الوطنية حيث ولد

المسرح الجزائري، الذي كان عنصرا هاما في ثقافة عصرية»[35]، وهذا دليل على أن الفن المسرحي في الجزائر لم يبدأ بمجيء (جورج أبيض) إلى الجزائر سنة 1921 كما أشرنا، بل كان يمارس قبل هذا التاريخ، وهناك عدة تداعيات سياسية واجتماعية وأدبية دفعت المهتمين بالمسرح إلى إبرازه بشكل كبير وواضح، حيث أن «الجزائر دخلت مرحلة عبر عنها الكتاب والملاحظون بمرحلة النهضة في ميادين مختلفة، فالمسرح كان سيظهر لا محال كما ظهر النادي والصحيفة والمسجد الحر والمدرسة الحرة والأحزاب والجمعيات والتأليف»[36].

وهناك فرق زارت الجزائر قبل فرقة (جورج أبيض). الفرق المسرحية التونسية التي قدمت عروضها المسرحية وغنت مع (جوق الأدب التونسي)[37] قبل الحرب العالمية الأولى، ومن المسرحيات التي عرضت: (عطيل والعباسة وصلاح الدين الأيوبي، وهي بالعربية الفصحى وقد أحرزت نجاحا لفت انتباه الفرنسيين)[38].

إن نشاط جمعية الآداب التونسية المؤسسة سنة 1911 لم يقتصر على تقديم المسرحيات بل تعدى إلى التوعية السياسية[39]، و لم يقتصر نشاطها بتونس العاصمة فقط بل تعدى إلى المدن الداخلية ثم إلى بلاد الجزائر، وربما «ترجع هذه الرحلة إلى العلاقات التي بناها الشبان التونسيون مع العديد من الشبان الجزائريين »[40].

ولعل ما جعل أبا القاسم سعد الله يؤكد بأن ظهور المسرح في الجزائر كان سابقا لهذه الفترة – فترة زيارة فرقة (جورج أبيض) للجزائر – لهذا فقد تناول إشكالية تاريخ عودة المسرح بعد الحرب العالمية الأولى وليس ظهوره، وليست «زيارة الفرقة المصرية بقيادة جورج أبيض سنة 1921 هي وحدها التي حركت في الجزائريين الاهتمام بالمسرح»[41].

ويمكن حصر أهم العوامل التي ساعدت في النهضة الفكرية والأدبية في الجزائر في النقاط الآتية:

1 – تطور الأحداث الأساسية في البلاد والتخلي عن السلاح واللجوء إلى الوسائل السلمية.

2 – ظهور الصحافة ذات الاتجاهات المختلفة وكذلك الجمعيات والنوادي الفكرية والأدبية، والفرق الفنية والرياضية.

3 – انتشار الوعي السياسي في المجتمع وتألق شخصيات كشخصية الأمير خالد.

4 – الاتصال بالمشرق العربي، والعالم الغربي وتوسع سبل المعرفة والتعليم لدى الشباب الجزائري.

المراجع:

1 – د. عبد القادر جغلول – تاريخ الجزائر الحديث – دراسة سوسيوليوجية ترجمة: فيصل عباس – دار الحداثة – بيروت لبنان – 1982 – ص: 77

2 – المرجع نفسه – ص: 77.

3 – المرجع نفسه – ص: 73.

4 – المرجع السابق – ص: 110.

5 – محمد بن رحال: تكون في المدرسة الفرنسية وتحصل على شهادة الباكالوريا ولد في 16ماي 1858 في ندرومة بغرب الجزائر، فهو ليس صاحب عمامة قديمة ، بل هو يمثل محاولة الحوار بين المجتمع الجزائري المستعمر والاستعمار، من أقواله «من المؤكد أنه يجب أن نقبل ما تقدمه لنا الحضارة بعيون غافلة ونستطيع أن نتبنى كل ميدان العلوم البحتة وجزءا ما من التنظيم الداخلي والسياسي ونظام الأشغال العامة والتعليم، وكل ما يتعلق بالتجارة والزراعة والصناعة بدون تعديلات كبيرة، فلا شيء يخالف في العقيدة ، بل بالعكس، إنه يحثه أو يفرضه يستطيع الإسلام متابعة الحضارة في كل الدرجات ما عدا ما يتعلق بالعقيدة والإخلاف والعائلة» أنظر د. عبد القادر جغلول – تاريخ الجزائر الحديث – ص: 70

6 – المرجع نفسه – ص: 71.

7 – المرجع نفسه – ص: 70.

8 – المرجع نفسه – ص: 70.

9 – المرجع نفسه – ص: 107.

10 – المرجع نفسه – ص: 108.

11 – د. عبد القادر جغلول – الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، ت، سليم سفطون – دار الحداقة ط 1 – لبنان: 1984 – ص: 49.

12 – أنور الجندي – الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا – ص: 19.

13 – من أبرز الجمعيات الأولى – الجمعية الرشيدية أسستها جماعة خريجي المدارس الفرنسية سنة 189، والجمعية التوفيقية سنة 1908، وجمعية نادي الشبيبة الجزائرية بتلمسان ، وجمعية الإخوة بسكرة انظر أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – الجزء (5) ص: 213.

14 – من النوادي الثقافية والفكرية – نادي الرشيدية في الجزائر العاصمة سنة 1902، ونادي صالح باي في قسنطينة سنة 1908.

15 – من الصحف التي ظهرت في الجزائر – صحيفة المبشر سنة 1847 (15 سبتمبر)، تعد الصحيفة الثالثة في العالم العربي بعد (الحوادث اليومية) المصرية سنة 1799 و(الوقائع) التي كان يصدرها الإمام محمد عبده سنة 1828 –

انظر: علي مرحوم – نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائر – مجلة الثقافة – السنة السابعة العدد 42 – ص: 24 ومن بين الصحف المنشورة في الجزائر حتى سنة: 1921: المبشر سنة: 1947 – النصيحة سنة: 1899 – الأخبار سنة: 1902 المنتخب سنة: 1903 – المغرب سنة: 1903 – مجلة الحياة سنة: 1907 – كوكب إفريقيا سنة: 1907 – الحق سنة: 1907 – الجزائر سنة: 1908 – المسلم سنة: 1909 – الحق الوهراني. سنة: 1911 – الإسلام سنة: 1912 – الفاروق سنة: 1913 – البريد الجزائري سنة: 1913 ذو الفقار سنة :1913 – الصديق سنة: 1920 – الأقدام سنة: 1920 – النجاح سنة: 1920. انظر: علي مرحوم – نظرة على تاريخ الصحافة العربية الجزائرية – ص: 25، وكذلك: أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي الجزء: 5 ص: 211.

16 – نور سلمان – الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير – دار العلم للملايين – بيروت سنة: 1981 ص :160.

17 – الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر، وهو خالد بن الهاشمي، ولد في د مشق (سوريا) سنة: 1875، درس في دمشق ثم انتقل إلى باريس حيث درس في ثانوية (لوسين لوقران LOUIS LE GRAND) وبعدها دخل المدرسة العسكرية (سان سور SAINT SYR) سنة 1893 بصفته كعربي (أهلي) (INDIGENE)، وقد رفض التجنس بالجنسية الفرنسية، عاد إلى مدينة الجزائر بعد أن تحصل على مرتبة (نقيب) ثم أرسل في بعثة إلى المغرب الأقصى من قبل القوات الفرنسية ، إلا أنه عمد إلى تحريض السكان على الثورة ومقاومة الاحتلال الفرنسيي، فأعيد إلى الجزائر، وبعد الحرب العالمية الأولى أجهر بمعاداته للقوات الفرنسية ، وفي سنة 1919 قدم قائمة للحكومة الفرنسية ضمنها مطالب الجزائريين أصدر جريدة الأقدام سنة: 1920 ودعا فيها كل المثقفين من رجال الدين والفكر بالعمل على كشف الماضي المجيد للأمة الجزائرية ، وإعداد تراجم لمشاهير وزعماء الإسلام والتنويه باكتشافاتهم وابتكاراتهم وعلومهم وآدابهم لمواجهة الإعلام الغربي الذي يروج لأعلام ومشاهير الغرب، ويقول في ذلك: _«لم يفعل الغازي المحتل شيئا لنا، وما تزال المجاعة تقف أمام أبوابنا وتترصدنا» أسس الأمير خالد في مدينة الجزائر منظمة سياسية أسماها (الاخوة الجزائرية) انخرط فيها الشباب والكهول والأعيان والفلاحون والمثقفون، وهو الذي اقترح على النخبة المثقفة الجزائرية والمغربية والتونسية على إنشاء (نجم شمال إفريقيا).وهي حركة سياسية تولى رئاستها .وافته المنية سنة 1936. أنظر: بوعلام بسايح – الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر – مجلة الثقافة الجزائرية – السنة (7) – العدد: 97 – يناير فبراير – الجزائر سنة: 1987 – ص: 13 وكذلك: عبد القادر جغلول – الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر – ص: 219

18 – جورج أبيض – ولد جورج أبيض في بيروت سنة 1880 – غادر لبنان إلى مصر سنة 1898 فيما وجد نهضة مسرحية كبيرة، فشارك في عدد من الفرق، ثم لما فر إلى فرنسا لدراسة الفن المسرحي، فأرسل على نفقة الحديوي عباس حلمي سنة 1904 ثم عاد إلى مصر سنة 1910 مع فرقة فرنسية، وبدأ يقدم عروضا بالعربية رفقة عدد من المسرحيين المصريين انظر: محمد يوسف نجم – المسرحية في الأدب العربي الحديث – 1914 – 1847 – دار الثقافة بيروت – لبنان – 1967 – ص: 152.

19 – محمد اسطنبولي – تاريخ المسرح في الجزائر– مجلة آمال – العدد 35 سبتمبر وأكتوبر 1976 – ص : 68.

20 – المرجع نفسه – ص: 68.

21 – المرجع نفسه – ص: 69.

22 – المرجع نفسه – ص: 67.

23 – المرجع نفسه – ص: 68.

24 – يعقوب اليهودي: عنوان لهو مسرحية (تاجر البندقية) لشكسبير، والتي لها عدة أسماء: (يهودي مالطة) و(شيلوك اليهودي).

25 – محمد اسطنبولي – تاريخ المسرح في الجزائر – ص: 69.

26 – نصر الدين صابيان – اتجاهات المسرح العربي في الجزائر – 1945 - 1980 ص: 20.

27 – جريدة الأقدام التي أنشأها الأمير خالد سنة 1919 منعتها الحكومة الفرنسية من الصدور سنة (1923)، أنظر نصر الدين صابيان – اتجاهات المسرح العربي في الجزائر – 1945 - 1980 – ص: 23.

28 – تم نفي الأمير خالد إلى المشرق – أنظر المرجع نفسه – ص: 23 وكذلك د – عبد القادر جغلول: الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر – ص: 220. وكذلك: بوعلام بالسايح – الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر. مجلة الثقافة.السنة 7 – العدد: 97. الجزائر 1987 – ص: 17.

29 – أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – الجزء (5) – ص: 581.

30 – المرجع نفسه – الجزء : 5 – ص: 575

31 – المرجع نفسه – الجزء: 5 – ص: 576

32 – المرجع نفسه – الجزء: 5 – ص: 579

33 – علالو – مذكرات علالو – شروق المسرح الجزائري – ترجمة أحمد منور – منشورات التبيين – الجاحظية – الجزائر – سنة: 2000 ص: 20

34 – المرجع نفسه – ص: 21.

35 – المرجع نفسه – ص: 21.

36 – أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – الجزء 8 – ص: 444.

37– أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – الجزء: 5 ص: 417.

38 – المرجع نفسه – الجزء 5 ص: 417.

39 – محمد مسعود إدريس – دراسات في المسرح التونسي – 1956 - 1981 – دار سحر للنشر – تونس سنة: 1993 – ص: 38.

40 – المرجع نفسه – ص: 38.

41 – أبو القاسم سعد الله – تاريخ الجزائر الثقافي – الجزء 8 – ص: 44.